غزة الجريحة

مضى نجمُ غزة الساطع في السماء الباردة ينير دروب الكثير من الذين أفقدتهم أوطانهم اصواتهم وسلبتهم حرياتهم، غزة التي علمتنا معنى الصمود وجسدت صورة المحارب في معركة الكرامة التي خاضها شعبٌ بأكمله رافعاً شعار لا أنسى ولن أخون، لقد تقاطعت في نفوسنا مشاعرُ الفخرِ مع الخوف، والفرح مع هزيج الدموع، ففي مسيرة العودة الكبرى استخلصنا رسالةُ عِزّة لخصتها جباه الشهداءِ والجرحى.

لقد كان يوماً عظيماً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أثبتت غزّة للعالم بأجمعه بأنها لا تزال تفتقدُ لأشجار الزيتونِ والبرتقال، فما زالت أفرانهم الطينية المُعتقة بالذكريات حاضرة في ذهونهم، وما زالت المجدل وحيفا ويافا وعكا والقدسُ وكل المدن المحتلة عالقة في قلوبهم، فلم تستطع أيٌ من الظروف الصعبة طوال هذه السنون الطويلة أن تنسيهم حقهم في العودة ولم يستطع الاحتلال طرد تلك المشاهد من أذهانهم الخصبة بحبِ الوطن والعودة، فقد ثارت غزة وثارت ذكراها في مشهدٍ لا يمكن لأحد أن ينساه، لقد لَخّصَ لنا هذا اليوم في طياته صورة القضية الفلسطينية في رواية يرويها شعبٌ لا ينسى التاريخ والجغرافيا لعالمٍ راهن على الزمن والأكاذيب لمحق الحقائق ودفنها في صحراء الزُورِ.

فقدنا في مسيرة العودة ثُلة من الشهداء الذين عاهدوا الله على دحرِ المحتل، فقد قاوموا ورابطوا واستشهدوا في سبيل الله والوطن .قال تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " لم أتوقع يوماً أن أنهار أمام تلك المشاهد الصعبة، فأمامي وعلى الهواء مباشرةً شاهدتُ الرصاصات الغادرة تنطلقُ من فوهاتٍ جازمة على القتلِ وهي تخترقُ أجسادَ شبابنا، منهم من قُنِصْ وبُترت ساقه أو يده، ومنهم من خنقتهُ قنابلُ الغازِ التي لا تحصى ومنهم من سالت دمائه على التراب حتى استشهد، كانوا يتساقطون كما العصافير الصغيرة، يا إلهي كم مرة قلوبنا توقفت عند تلك المناظر، كنتُ أسألُ نفسي يا تُرى ماذا أمهاتهم بفاعلة، كيف سيتماسك آبائهم سيلَ الدموعِ أمام المُعَزّين خصوصاً إذا كان ابنه هو الوحيد بين إخوته.

لقد قتلتني نظراتُ الحسرة واللوعة في قلوبِ أمهاتِ الشهداء، إلى متى ستستمرُ تلك المشاهد تراودُ غزة، لم يتبقى بيتٌ واحد إلا وفيه شهيدٌ أو جريح، إلى متى سيبقى الموتُ يطرقُ أبوابَ ونوافذ الفقراء والضعفاء، ألا يكفينا الحصارُ والتآمرات والانقسام؟ لماذا يُحْرم هذا الشعب من كلِ مظاهر الأمل والسعادة !، أيدفعُ صِغارنا ضريبة الاحتلال بالموتِ على يد مستوطن صهيوني عشريني بطلقة واحدة ألا تعلموا بأننا نحتاجكم بعد! لا تذهبوا لحدودِ الموتِ أرجوكم، لقد كانت مسيرةً سلمية ولم تكن غير ذلك، مدينتنا الصغيرة تفتقدكم الآن كما تفتقدكم أمهاتكم.

هذه المدينةُ الحزينة التي ما زالت منبعٌ يجسدُ مذاقَ المرارة للمارين فيها، فعندما تقرر السير في أزِقة وشوارع هذه المدينة لا يمكنك إلا وأن ترى في قسماتِ وجوه الشباب المُثقلة كل معالم البؤس وترى في وجوه الأطفال المشردة التي تنظر إلى المحال التجارية كل الألم لأنها تشتهي قطعةُ حلوى أو حتى ملابس جديدة بدلاً من ثيابهم الرثة التي تمزقت من كثرة الجلوس على الأرصفة.

أ:سميرة (بيلسان) https://t.me/joinchat/AAAAAE9ZVB8DiXYFap5b5A